

مِنْ أَجْلِ ثَقَافَةِ شِيعَةِ أَصِيلَةٍ

مِنْ أَجْلِ وَعْغِي مَهْدَوِي رَاقٍ

بِرَنَامَج

يَا عَلِيٍّ...

عَبْدُ الْحَلِيمِ الْغَزِّي

منشورات موقع القمر

برنامج يا عليّ ...

برنامجُ تلفزيوني عرضته قناة القمر الفضائية

على مدى شهر رمضان المبارك 1436 هـ

وبطريقة البث المباشر

ابتداءً من تاريخ: 19 / 06 / 2015

يا زهراء

وهل هناك أجمل من هذا الاسم أبتدئ به حديثي . . .

قال صلى الله عليه وآله وسلم:

لو كان الحسن صورة، لو كان الحسن هيئة لكانت فاطمة صلوات الله وسلامه عليها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى فَاطِمَةَ وَأَبِيهَا وَبَعْلِهَا وَبَنِيهَا وَالسِّرِّ الْمُسْتَوْدَعِ فِيهَا . . .

يَا عَلِيّ . . .

الحلقة التاسعة: وقفة عند الزيارة الغديرية ج4

الحلقة التاسعة

وقفة عند الزيارة الغديرية ج4

الحلقة التاسعة من برنامجنا:

(يَا عَلِيّ)

سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَشْيَاعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّى كُنْتُمْ إِخْوَتِي أَخَوَاتِي أَبْنَائِي بَنَاتِي.

لا زال حديثي يتواصل مع الحلقات المتقدمة في أجواء الزيارة الغديرية وكان الحديث في الحلقة السابقة في أجواء واقعة أُحُد، ومَرَّ الكلامُ بنحوٍ سريع فيما جاء من ذكر يوم حُنين. وصلنا بالحديث إلى واقعة خيبر: وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. ثمَّ أشار إلى مسألة فرار الأنصار والمهاجرين يوم خيبر:

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه ذكر يوم بدر من دون أن يشير إلى أي خصوصية لهذا اليوم، قطعاً يوم بدر له تميزاته وله أهميته، كما قلت في الحلقات الماضية: يوم بدر هو فاتحة الفتح، البداية من بدر، لكن الإمام الهادي لم يُطلِ الوقوف عند بدر لا لعدم أهميته إنما أراد أن يشير إلى أن يوم بدر مع أهميته فهو دون يوم خيبر، لذلك ذكر يوم بدر من دون أي تفصيل من دون أية إشارة. وحين تحدّث عن الأحزاب أشار إلى نقطتين:

● إلى حالة الخوف والرعب والجبن التي أصابت المهاجرين والأنصار.

● وإلى كيفية المؤمنين بعليّ: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعليّ.

ثمَّ تحدّث عن أُحُد وكان التركيز في قضيتة أحد على أن ساحة المعركة ما كان فيها إلا رسول الله وسيّد الأوصياء، ثمَّ كان الحديث عن حُنين وعن فرار الأنصار والمهاجرين، عن فرار الصحابة. إلى أن وصلنا إلى خيبر، خيبر هي التي وصفها بهذه الأوصاف: - وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ - الخور: هو الضعف، المهانة، الفرار، الجبن، الوضاعة، هو هذا الخور - وَيَوْمَ خَيْبَرَ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ - هذا الوصف لم يُشر إليه الإمام الهادي لا في بدر ولا في الأحزاب ولا في أُحُد ولا في حُنين، كما قلت: خيبر هي فتح الفتوح، أمّا فتح مكّة فهو فتح رمزي، فتح مكّة كان نتيجة طبيعية لخيبر،

قَطَعَ دابر الكافرين كان في خير، والإمام استعمل هذا التعبير: - وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - هذا التعبير الحمد لله رب العالمين؛ إنما يؤتى به في ذوق الكتاب والعترة حينما تكون الأمور قد تَمَّتْ قد كُمِلَتْ فيؤتى بهذا التعبير. نُلقِي نظرة سريعة على آيات الكتاب ثُمَّ نعود إلى تفاصيل خير: الزيارة استعملت عبارتين:

• العبارة الأولى: وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ.

• والعبارة الثانية: وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

والحمد لله رب العالمين: في ذوق الكتاب والعترة: أَمَّا تُطْلَقُ حين تكون الأمور كاملة، حين تكون الأمور تامة، لو تتبعنا هذا التعبير في الكتاب الكريم تَتَضَحُّ لنا الصورة:

في سورة الفاتحة بعد البسملة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ والفاتحة هي جامعة الكتاب، سورة الفاتحة هي جامعة الكتاب هي خلاصة الكتاب. هنا حين تبتدى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يعني تمام الحمد، بكلِّ مراتبه، بكلِّ أشكاله لله سبحانه وتعالى الذي هو ربُّ كلِّ شيء، ربُّ العالمين ربُّ كلِّ شيء، فالحمد هنا هو تمام الحمد، بعد البسملة بعد ذكر اسم الله ماذا جاء؟ جاء الحمد بتمام مراتبه، لأنَّ هذا التعبير يأتي حينما تكون المعاني تامة كاملة، وهذا واضح في أول الفاتحة التي هي جامعة الكتاب جامعة المعاني وهنا العبارة جامعة التحميد بكلِّ أشكاله.

وبمعنى أدق: بسم الله الرحمن الرحيم؛ اسمه الذي هو قبل كلِّ شيء وبعد كلِّ شيء ومع كلِّ شيء، بعد هذا الاسم الذي بدأت منه الأشياء وتعود إليه الأشياء وهو مع الأشياء والأشياء قائمة به فكلُّ شيء قائمٌ بأسمائه سبحانه وتعالى، لذا كَانَ التحميدُ تحميداً لكلِّ شيء في هذا الوجود من آياتِ جماله وجلاله، وكأنَّ الوجود قد كُمِلَ وهو كامل، ولكن حين أقول: وكأنَّ الوجود قد كُمِلَ لتقريب الفكرة لتقريب الصورة، كُمِلَ وبعد أن كُمِلَ قلنا: الحمد لله ربِّ العالمين، لأنَّ كلَّ شيء قد تَمَّ.

وحيثُ نقرأ في سورة يونس، في سورة يونس الحديث عن الجنان وعن أهل الجنان في الآية التاسعة والتي

بعدها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ *

دَعَوَاهُمْ فِيهَا﴾ في جنات النعيم، انتهت الدنيا وانتهت الآلام والمشقة ﴿دَعَوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ

وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾ وآخر شيء ماذا؟ ﴿وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ كما قلت هذا التعبير

يأتي عند تمام الأمر ﴿وَأَخِرُ دَعَوَاهُمْ أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة الصفات، سورة الصفات تحدّثت عن الأنبياء عن المرسلين وذكرت تفاصيل عنهم لا مجال لذكرها الآن، إلى أن تقول سورة الصفات مُبَيَّنَةً حَقِيقَةً كَامِلَةً جَامِعَةً ﴿سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿النتيجة النهائية هي هذه مهما تغيّرت الأحداث الدنيوية بالنتيجة هناك قانون حاكم للباطل جولة وللحق دولة، ليظهره على الدين كله.

﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ﴾ * إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنْصُورُونَ * وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿إلى أن السورة تختتم بهذا القول ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وتنتهي سورة الصفات ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ * وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ * وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿الأمور هنا تكاملت وانتهت.

وفي سورة الزمر، في الآية الرابعة والسبعين وما بعدها ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ انتهت الأمور ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمُ بِالْحَقِّ﴾ انتهت الأمور ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .

وإذا ذهبنا إلى سورة غافر، في الآية الرابعة والستين وما بعدها ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ * هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴿ بعد كل هذا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ بعد بيان كل هذه التفاصيل تمّ الكلام هنا. التعبير القرآني: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ هذه تقريباً جميع الموارد التي ذكرها القرآن ووردت فيها صيغة ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ إنها وردت في موارد التمام والكمال، وردت في موارد نهايات الأمور تمت الأمور وانتهت على أحسن وجه وقيل الحمد لله رب العالمين.

الإمام هنا استعمل هذا التعبير: - إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. بل إن هذا التعبير بنفسه ورد في الكتاب الكريم، هذا التعبير بنفسه نصّاً ورد في سورة الأنعام، متى ورد؟ ورد في سورة الأنعام، إذا نقرأ في الآية الثانية والأربعين وما بعدها ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْبُؤْسَاءِ وَالضَّرَاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ * فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا؟ تَضَرَّعُوا؛ لَجئوا إلينا بالدعاء والخضوع ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ * فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ الآية الخامسة والأربعون ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ انتهوا، انتهى أمرهم ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ التعبير هو هو في الزيارة الغديرية: - وَقُطِعَ دَابِرُ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

قطع الدابر ورد في الكتاب الكريم أيضاً، لو تتبعنا هذا التعبير في الكتاب الكريم لوجدنا أن قطع الدابر جاء يُشير إلى نهاية الأمر أيضاً، مثلاً في سورة الحجر في قصة لوط النبي ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَقُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ حينما كان القرار بنزول العذاب على قوم لوط ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلَا يَلْتَقُ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ * وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ﴾ إلى النبي لوط ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾ قُطِعَ دَابِرُهُمْ: - وَقُطِعَ دَابِرُ الْكَافِرِينَ - أين في الزيارة؟ في خير.

نفس هذا التعبير هو في سورة الحجر، حينما نزل العذاب على قوم لوط انتهوا، نهاية ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾.

إذا ذهبنا إلى سورة الأعراف، في قصة هود النبي، في الآية الثانية والسبعين في سياق قصة قوم عاد ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ متى؟ حين نزل العذاب على قوم هود ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَّعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ وقطعنا دابر الذين كذبوا.

هو نفس التعبير الذي جاء في سورة الأنعام الآية التي تلوها على مسامعكم قبل قليل ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

بينما في سورة الأنفال والحديث في أجواء واقعة بدر ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إحدى

الطائفتين إمّا قافلة أبي سفيان وإمّا الجيش الذي خرج من قريش ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ وأنتم تحبون أن تكون لكم القافلة، قافلة أبي سفيان، لا أن تصطدموا مع قريش في جيشها ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ﴾ الله يريد أن يُحَقِّقَ الحقَّ بكلماته، هذا هو البرنامج المُحمَّدي لكن ليس في واقعة بدر واقعة بدر كما قلت: هي فاتحة الفتح ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ يعني ليس في بدر وإنما البرنامج الإلهي المُحمَّدي نهاية هذا البرنامج أن يقطع دابر الكافرين، قطعاً بالمعنى التام الحقيقي ليظهره على الدين كله هذا لا يكون إلا في العصر المهدوي، ولكن أن يثبت الإسلام على أسسه وأن يقف الدين على أقدامه فهناك قطع لدابر الكافرين، لكن ليس في بدر وإنما بدر هي فاتحة الفتح والتعبير واضح:

﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ﴾ يريد الله من بدر ومما يأتي بعد بدر ﴿وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ﴾ لو كان هناك قطع لدابر الكافرين في بدر لجاء التصريح واضحاً في ذلك، لكن الكلام كله لحنه يشير إلى هذه القضية: أن بدر هي الفاتحة والنهاية المطلوبة لقطع دابر الكافرين تتجلى هنا في هذا البيان المعصومي من إمامنا العاشر: - وَيَوْمَ خَيْرٍ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - الإمام لم يكتفي بعبارة وقطع دابر الكافرين بل ألحقها بعبارة أخرى - وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - لتأكيد المعنى أن الأمر قد تم وانتهى، الإمام هنا يشير إلى أن خير هي فتح الفتح.

نحن لا نتملك التفاصيل الكاملة عن واقعة خير ولكن من خلال المعطيات المتوفرة يمكن أن نستكشف لوحة تكاد تكون كاملة ولو بالمُجمل للذي جرى في خير، الذي يبدو من النصوص، من المعطيات المتوفرة بين أيدينا خير عدة حصون، خير ليس حصناً واحداً، ولكن أضخم هذه الحصون هذا الحصن الذي قلّع الأمير بابه، حصن القموص، وإلا خير هي مجموعة من الحصون، وكانت هذه الحصون مشحونة بالرجال، اليهود اجتمعوا بقدر ما تمكنوا أن يجتمعوا اجتمعوا في خير، وقريش بقدر ما استطاعت اجتمعت، ولو تتبعنا أن قريش حين خرجت في بدر خرجت كما يذكر المؤرخون بحدود ألف، ألف من الفرسان والرجال، في أحد كان العدد ثلاثة أضعاف، ثلاثة آلاف، في الأحزاب كان العدد أكثر من عشرة آلاف، فهنا في خير لا بد أن نتوقع أن العدد أكثر، صحيح لم يذكر العدد، بعض النصوص ذكرت أن عدد اليهود أربعة عشر ألف، وقريش والقبائل العربية في بعض النصوص ورد ذكر أربعة آلاف من قبيلة غطفان، القبائل

العربية، فُريش بكل أحلافها، واليهود، هؤلاء تجمّعوا في خير، هذه القضية لا تُذكر، هذه القضية لا يُشار إليها تُطمس، حتّى في الثقافة الشيعة خير يعني عليّاً قتل مرحب وقلع الباب وانتهينا، ولم تُشخص أهميتها من أنّها فتح الفتوح خير، هذه الأعداد الكثيرة اجتمعت في خير وكانت تُخطّط لشيء كبير، كانت تُخطّط للقضاء على النّبيّ وللقضاء على الإسلام بكّله، تُخطّط لشيء كبير، لكنّ النّبيّ صلّى الله عليه وآله هو الذي بادروهم وحاصر هذه الحصون والقلاع.

الذي يظهر أيضاً بالنسبة لحصن القموص والذي كان عالياً جداً وضخماً جداً وكان مبنياً من الحجارة الجبلية بخلاف الحصون التي بينها العرب من الطين، بُني من الحجارة من الصخور، والجبل قُطعت منه الباب، الباب قُطعت من الجبل، الباب، باب حصن القموص كان مقطوعاً من الجبل، قطعة صخرية ضخمة هائلة، واليهود يبدو أنّهم انتفعوا من تجربة واقعة الخندق فحفروا خندقاً كبيراً أمام الحصن، كان هناك خندق واسع، بحيث أنّ المسلمين لمّا جاءوا ما استطاعوا أن يعبروا لا بخيولهم ولا هم بأنفسهم ما استطاعوا أن يعبروا كان خندق كبير، وفي مثل هذه الحالة لا بدّ أنّ اليهود حين يخرجون يمدون جسوراً مؤقتة هذا الذي كان يجري في الحروب قديماً، حينما تكون مدينة محصنة ويُحفر أمامها خندق فلا بدّ أن يمدّوا جسوراً عليها، يخرج المقاتلون ولّمّا يرجعون يرفعون هذه الجسور المؤقتة كي لا ينتفع العدو منها.

حصن عالي وأمامه خندق، وكانت القوات اليهودية تخرج تعبر الخندق فتصل إلى الساحة التي يحدث فيها القتال، وما حدثت معركة كبيرة، لكنّها كانت مناوشات لأنّ الأنصار والمهاجرين فرّوا من ساحة المعركة فما حدثت معركة كبيرة.

من خلال النصوص، من خلال المعطيات الموجودة بين أيدينا، النّبيّ صلّى الله عليه وآله طلب من الأنصار أن يحملوا، وحملوا ورجعوا فارّين! ثمّ طلب من المهاجرين ومريّين مرّة بقيادة أبي بكر وأخرى بقيادة عمر وفي الحالتين فرّ المهاجرون فرّ المسلمون، جميعاً القوات فرّت! كان مرحب يُخيفهم.

أمير المؤمنين وقع الرمد في عينه لم يخرج إلى القتال، مرحب جنّد رجالاً من المسلمين فهابه المسلمون، بعض المسلمين طلب من رسول الله صلّى الله عليه وآله أن ابعث عليّاً إلى مرحب، يعرفون، يعرفون من الذي يستطيع أن يقف أمام هذه القوّة، فطلبوا من النّبيّ أن يبعث عليّاً، النّبيّ غضب، لماذا؟ لأنّ الأنصار فرّوا! أبو بكر فرّ برايته! والنصوص تقول فرجع يُجِبُّ أصحابه ويُجَبِّونه! معنى يُجِبُّ أصحابه ويُجَبِّونه؛ يصفهم بالجن ويصفونهم بالجن، وعمر كذلك وهذا الأمر مذكور في كتب السير في كتب الحديث في كتب التاريخ. غَضِبَ رسول الله صلّى الله عليه وآله للذي جرى، الأنصار المهاجرون المسلمون فرّوا من ساحة المعركة، فقال الكلمة المعروفة المذكورة في الأحاديث: لأعطين الراية غداً رجلاً ووصفه بأنّه كرّار غير فرّار. كرّار مبالغة، غير فرّار يقارن فيما بينه وبين الآخرين الذين هم فرّارون، فهذا الذي سيعطى الراية كرّار، ليس فرّاراً

كالآخرين، وأعطاه الراية، سأقرأ عليكم الروايات لكنني بشكل موجز مختصر أبين لكم الصورة. فأعطاه الراية فأخذ الراية وخرج مهولاً مسرعاً، حتى أن بعض المسلمين أرادوا أن يلحقوا به فناداه سعد ابن عباد: يا أبا الحسن أربع انتظر، انتظر حتى نلبس دروعنا ونأتي بأسلحتنا فما سمعته، خرج مهولاً، وركز الراية في وسط المعركة في وسط الساحة وجندل مرحب. مرحب خاف منه، مرحب خرج وهو يقول:

أنا الذي سمّتي أمي مرحبا

فأجابه الأمير قال:

أنا الذي سمّتي أمي حيدرة ضرغام أجام وليث قسورة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة

أكيلكم بالسيف كيل السندرة، قد يسأل سائل يقول ما معناها؟ السندرة وعاء كبير، مكيال، مكيال كبير جداً، ماذا يكيلون فيه؟ يكيلون فيه الأشياء المختلفة، يعني إذا أردت أن أقرب لك الصورة يعني مثل قضية الأماكن التي يجمع فيها السيارات التالفة، السكراب كيف تجمع؟ تجمع ثم بعد ذلك تضغط بواسطة مكائن وآلات، ثم توزن بميزان حتى تعرف أوزان هذا الحديد، يعني باللهجة بلهجتنا العراقية يعني أسويكم سكراب، أكيلكم بالسيف كيل السندرة، يعني سأجمعكم البعض فوق البعض الآخر، سأدوسكم دوساً.

لما سمع مرحب الاسم فرّ من ساحة المعركة، لماذا؟ لأنّ مرضعة له كانت قد أخبرته بأنّ شخصاً اسمه حيدرة هو هذا الذي يقتلك، أنت لا تستطيع أن تحاولك أحد ويُنازلك إلا شخص اسمه حيدرة، لما سمع فرّ من ساحة المعركة، الروايات تقول: إبليس تجلّى له، ظهر له بصورة حبر من أحبار اليهود، إبليس هنا تدخل في المعركة بشكل واضح، تدخل في بدر إبليس، ومّر علينا كيف تدخل أيضاً في أحد، إبليس تدخل في بدر وفي سورة الأنفال في الآية الثامنة والأربعين الإشارة إلى هذه القضية: ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ﴾

جاءهم بصورة سراقه ابن مالك ﴿وَإِذْ زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ﴾ كان يقو لقريش ﴿وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾ أنا معكم كان من خيرة فرسان قريش ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ﴾ لما تراءت الفئتان الملائكة الذين نزلوا ﴿نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ فرّ من ساحة المعركة، حين رأى الملائكة ورأى منصور قائد الملائكة يتقدّم الملائكة بيده الحربة ففرّ إبليس من ساحة المعركة الذي كان قد تصوّر وتجنّس بصورة سراقه ابن مالك ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ﴾ منصور هو قائد الملائكة، لذلك كان الشعار في بدر يا منصور أمت، منصور هو قائد الملائكة ﴿فَلَمَّا تَرَأَتِ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكُمْ﴾

إِنِّي بريء من قريش لماذا؟ ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ﴾ أنا أرى شيء لا ترونه أنتم ﴿إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ الآن الملائكة نزلت فلمّا تراءت الفئتان يعني لمّا وقف المسلمون وقفت قريش والملائكة في هذه الحالة نزلت ففرّ سراقه من ساحة المعركة هنا فرّ إبليس.

وفي سورة آل عمران كان الحديث عن فرار الصحابة جميعاً من ساحة المعركة ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ ومرّ علينا في يوم أمس كيف أنّ إبليس صرّخ في المدينة أنّ مُحَمَّدًا قد قُتِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فإبليس هنا حضر بشخصه.

نقرأ الروايات: أمير المؤمنين قتل مرحب، اليهود فرّوا إلى حصنهم، فرّوا إلى حصنهم يبدو أنّ الأمير أيضاً عبر على الجسور على جسورهم أو أنّه قفز الخندق، لأنّ قطعاً اليهود لمّا رجعوا فازّين إلى داخل الحصن وأغلقوا الأبواب، أغلقوا هذا الباب الكبير لا بدّ أنّهم عبروا على تلك الجسور المؤقتة، فإمّا يكون الأمير قد عبر على هذه الجسور أيضاً وذلك مستبعد لأنّ المسلمين لمّا جاءوا إلى الخندق ما وجدوا جسراً، فلا بدّ أنّه قد قفز، قفز الخندق، ووصل إلى الحصن، فهم أغلقوا الباب، والباب كما مذكور فقط كان يُغلق هذا الباب أكثر من عشرة رجال أو عشرون رجلاً، الباب يُغلق بسهولة حتّى لو كان كبيراً باعتبار أنّه قد رُتب بآلية وبتقنية يتحرّك رغم أنّ وزنه في غاية الثقل، ولكن كم كان هذا الباب ثقیلاً بحيث حينما يريدون أن يغلقوه يحتاجون إلى هذا العدد الكثير من الرجال!!

الأمير صلوات الله وسلامه عليه قلعهُ بيده اليسرى، وإنّ كُنّا نعتقد في رواياتنا كلّتا يديه يمين، صاحبُ هذا الأمر يعني الإمام المعصوم كلّتا يديه يمين، حين أكل الإمام السّجاد بيده اليسرى وسأله السّائل بين رسول الله أليست السنّة أن يكون الأكل باليمين؟ قال: صاحب هذا الأمر، يعني الإمام، كلّتا يديه يمين، ولكن هكذا جاء في التاريخ، لأنّ السيف كان بيده اليمنى، فقلع الباب بيده اليسرى فجعلها درقّة، درقة هذه القطعة الحديدية المربعة المدورة المثلثة التي يحملها المقاتلون يتدرّعون بها يواجهون بها ضربات السيوف والرماح، يبعدون ضربات السيوف والرماح عن وجوههم عن أبدانهم، فتدرّق بالباب جعله درقّة، اليهود رُعبوا من هذه العملية، يعني هذا الرجال حمل هذا الباب فجعلوه درقة فرُعبوا، حين قلع الباب الحصن كان سميكاً جداً وكان عالياً أمراء اليهود أين كانوا يجلسون؟ ينظرون إلى ساحة المعركة هم وعوائلهم، كانوا يجلسون على أعلى الحصن، لذا صفية بنت حيّ ابن أخطب وهي من عليّة القوم من العائلة الحاكمة المالكة لمّا جيء بها إلى النّبّيّ وكان هناك شحّ جراحة في وجهها فسألها النّبّيّ عن ذلك فقالت: لمّا جاء عليّ وقلع الباب الحصن بكّله اهتزّ فكنّث جالسة على سريري على الكرسي فوقعت فأصابني الكرسي حين وقعت في هذا المكان

من وجهي فشجّ وجهي، فعليّة القوم أين الأمراء؟ كانوا على الحصن، الإمام قلع الباب جعله درقة، المسلمون في الجانب الثاني، اليهود الآن هذي الجموع الكثيرة من اليهود ومن قريش هذه الآلاف المؤلفة فرّت، فدخل الإمام إلى داخل المدينة فتحها بالكامل، سيطر على المدينة بالكامل لوحده صلوات الله وسلامه عليه لم يكن معه أحد، ومتى كان مع عليّ أحد؟!

لم يكن معه أحد فتح المدينة بالكامل، فتح الحصون بالكامل، ماذا صنع بعد ذلك؟ رجع، المسلمون يريدون أن يعبروا إلى داخل الحصن، المكان كان واسع الذي وقف عنده المسلمون من الحصن ولا زال، لا زال هذا الباب بيده، فمدّه جسراً فأعوز، يعني المسافة كانت عريضة لهذا الخندق، فأعوز، فماذا صنع؟ في بعض الروايات فمدّ يده، يعني أكمل الحصن، أكمل الباب، باب الحصن بذراعه وعبر المسلمون الراجل منهم راجل والفرس منهم فارس.

لم ينتهي الأمر عند هذا الحد، الحصن عالي، وأراد المسلمون أن يقتحموا الحصن، فماذا صنع الأمير؟ أخذ هذا الباب ووضعهُ على ظهره وصعد المسلمون على الباب بخيولهم وبرجالهم، لذلك إمامنا الباقر يقول: ما لقيّ عليّ من الباب حين وضعهُ على ظهره من الناس أكثر ممّا لقيّ من الباب، قطعاً لأنّ جيش كامل يعبر عليه، قوّات كاملة عبرت على الباب وهو على ظهره الشريف.

بعد أن انتفت الحاجة من الباب قدّفه، الرواية تقول فمرّ الباب فوق رؤوس المسلمين، قدّفه إلى مسافة بعيدة، الذين حاولوا أن يقلّوا الباب أربعون وأكثر ما استطاعوا أن يُحرّكوه من على الأرض، سبعون رجل استطاعوا أن يرفعوه، وانتهت شوكة اليهود وشوكة أحلاف اليهود وكان ذلك النصر المؤزّر النصر العلويّ.

هذه صورة موجزة، ما صدّر من أفعال أمير المؤمنين كان لإرعاب تلك القوّات، كان لإرعاب القبائل وعرف الجميع بأنّهم لا يمتلكون القدرة على مواجهة هذه القوّة الخارقة، لذلك جاء التعبير في الزيارة الغديرية: وَيَوْمَ خَيْرَ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

وعدلين ميتين يَمُكُّ يا عليّ.

(المستدرک علی الصحیحین) الصحیحان معروفان صحیح البخاری وصحیح مسلم، البخاری فی صحیحہ عنده قواعد تُسمّى بشروط البخاری، وكذلك مسلم عنده قواعد تُسمّى بشروط مسلم، البخاری لم یُثبِت حديثاً فی کتابه الصحیح ما لم یکن خاضعاً لشروط معینة اشترطها بحسب وجهة نظره فی الجانب السندی للحديث فی صحة الحديث بحسب رؤيته، وكذلك مسلم، ولهذا السبب کان الكتابان فی غاية الأهمیة عند السُنّة، الحاكم النیشابوری من علماء السُنّة من كبار محدثيهم ويمكن أن یستكشف الإنسان ذلك من تلقيبه بالحاكم، الحاكم درجة علمية هي أعلى الدرجات العلمية فی علم الحديث عند القوم، الحاكم هي درجة علمية، لم یکن حاكماً على بلدٍ من البلدان وإنما هو حاكم فی أجواء علم الحديث، الحاكم النیشابوری

وجد كثيراً من الأحاديث تنطبق عليها شروط البخاري ولم يذكرها البخاري في كتابه، وكذلك وجد الكثير من الأحاديث تنطبق عليها شروط مسلم و لم يذكرها مسلم في كتابه، فألف هذا الكتاب الذي سَمَّاهُ (المستدرِكُ على الصحيحين)، يعني ذكر في هذا الكتاب الأحاديث التي كان ينبغي على البخاري أن يذكرها وكان ينبغي على مسلم أن يذكرها، لماذا؟

لأنَّ هذه الأحاديث تتوفر فيها الشروط التي اشترطها البخاري على نفسه والشروط التي اشترطها مسلم على نفسه من جهة ذكر الأحاديث، هذه الطبعة التي بين يدي هي طبعة دار إحياء التراث العربي، الطبعة الأولى سنة 2002 ميلادي 1422 هجري، بيروت - لبنان، لذلك هو يقول في المقدمة - وأنا استعين الله على إخراج أحاديث رواتها ثقات قد احتجَّ بمثلها الشيخان - يعني البخاري ومسلم - قد احتج بمثلها الشيخان رضي الله عنهما أو أحدهما - الأحاديث الموجودة إمَّا وفقاً لشرائط الشيخين أو وفقاً لشرائط أحدهما.

في الباب الذي عنوانه: (ذكرُ غزوة خيبر) يعني هذي الأحاديث في مستدرِك السُّنَنِ المعروف الحاكم النيشابوري هي وفقاً لشرائط البخاري ومسلم، لكنَّهما لم يذكرها هذه الأحاديث؟! الحديث في صفحة: 870، المرقم: 4395، بسنده: - عن أبي ليلى عن عليٍّ أَنَّهُ قَالَ: يَا أَبَا لَيْلَى أَمَا كُنْتَ مَعَنَا بِخَيْبَرَ؟ قَالَ: بَلَى وَاللَّهِ كُنْتُ مَعَكُمْ. قَالَ: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ بَعَثَ أَبَا بَكْرٍ إِلَى خَيْبَرَ فَسَارَ بِالنَّاسِ وَانْهَزَمَ حَتَّى رَجَعَ - وقال الحاكم النيشابوري: - هذا حديثٌ صحيحٌ الإسناد ولم يخرجاه - يعني ما ذكراه في كتابيهما.

الحديث 4397 - عن أبي موسى الحنفي عن عليٍّ رضي الله عنه، قال: سار النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى خَيْبَرَ فَلَمَّا أَتَاهَا بَعَثَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَبَعَثَ مَعَهُ النَّاسَ إِلَى مَدِينَتِهِمْ أَوْ قَصْرِهِمْ فَقَاتَلُوهُمْ فَلَمْ يَلْبَثُوا أَنْ هَرَمُوا عُمَرُ وَأَصْحَابُهُ فَجَاءُوا يُجَبِّنُونَهُ وَيُجَبِّنُهُمْ - يُجَبِّنُونَهُ وَيُجَبِّنُهُمْ يعني؛ يصفونه بالجن ويصفهم هو أيضاً بالجن أحدهما يعيِّر الآخر. أيضاً قال الحاكم النيشابوري: - هذا حديثٌ صحيح الإسناد ولم يخرجاه - يعني لم يذكره البخاري ولا مسلم مع أنَّ هذه الأحاديث بحسب شروطهم أحاديث صحيحة.

الحديث 4398 - عن أبي الزبير عن جابر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَفَعَ الرَايَةَ يَوْمَ خَيْبَرَ إِلَى عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَانْطَلَقَ فَرَجَعَ يُجَبِّنُ أَصْحَابَهُ وَيُجَبِّنُونَهُ - وأيضاً قال الحاكم النيشابوري: - هذا حديثٌ صحيح على شرط مُسلم ولم يُخرجاه - لا البخاري ولا مسلم. وأحاديث أخرى هذا نموذج من الأحاديث التي وردت في كتب القوم وإلاَّ هذه القضايا قضايا معروفة.

الشيخ الصدوق في كتاب الخصال، في كلامٍ لسيد الأوصياء صلوات الله وسلامه عليه حين جاءه رأس اليهود ودار فيما بين الأمير وبين رأس اليهود هذا كلام، الكلام طويل في كتاب الخصال من صفحة: 400 إلى، يستمر الحديث في عدة صفحات إلى صفحة: 418، يعني من صفحة: 400 إلى صفحة: 418، محاورة بين الأمير وبين رأس اليهود أنا أذهب إلى موطن الحاجة:

وَأَمَّا السَّادِسَةُ - الإمام يفصل كلامه أولاً، ثانياً، ثالثاً، قال: - وَأَمَّا السَّادِسَةُ يَا أَخَا الْيَهُودِ فَإِنَّا وَرَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَدِينَةَ أَصْحَابِكَ خَيْرٌ - كيف وردوها؟ الإمام هنا قطعاً حين يتكلم يتكلم بإيجاز وباختصار، هذه سطور قليلة من عدة صفحات، الإمام تحدّث في موضوعات مختلفة، يعني الإمام هنا يتكلم بنحوٍ عرضي بنحوٍ مختصر بنحوٍ مجمل ولكنه كلام في غاية الأهمية - وَأَمَّا السَّادِسَةُ يَا أَخَا الْيَهُودِ فَإِنَّا وَرَدْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَدِينَةَ أَصْحَابِكَ خَيْرٌ - انتبهوا لكلامه، ماذا يقول - عَلَى رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَفُرْسَانِهَا - فرسانها يعني فرسان الحروب - عَلَى رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَفُرْسَانِهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا - حينما يتحدثون عن هذا الموضوع هذا الأمر لا يُذكر أصلاً، لا يُقال بأنّ قريش كانت موجودة، من قريش وغيرها من القبائل الأخرى - عَلَى رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَفُرْسَانِهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا - لاحظ الإمام ماذا يقول؟ والذي يتكلم أمير المؤمنين ليس حسّان ابن ثابت، أمير المؤمنين يتكلم ليس أولئك الذين فروا من ساحة المعركة، أمير المؤمنين يقول، ماذا يقول؟ يقول - فَتَلَقُّونَا بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ - هذا الذي يصف أمير المؤمنين، يعني أيّة قوّة كانت موجودة هناك؟! - فَتَلَقُّونَا بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ - لذلك حينما يفرّ الأنصار والمهاجرون وأبو بكر وعمر والمسلمون عموماً قد نجد لهم عذراً لأنهم في مواجهة هذه القوّة الهائلة ربّما نجد لهم عذراً في ذلك، لذا الأمير هروّل لوحده باتجاه المعركة يعرف، ليس لها إلّا هو، حين ناداه سعد ابن عبادة يا أبا الحسن أربع انتظر، يعرف إنّ القوم لن يستطيعوا أن يفعلوا شيئاً، كما مرّ علينا في واقعة حُنين الإمام الهادي ماذا قال للأمير؟ - قَدْ كَفَيْتَهُمُ الْمُتُونَةَ وَتَكَفَّلْتَ دُونَهُمُ الْمَعُونَةَ - أنت الكافي وأنت المعين.

فَتَلَقُّونَا بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ وَهُمْ فِي أَمْنٍ دَارٍ - في القموص، القموص هذا الحصن الضخم - وَأَكْثَرُ عَدَدٍ كُلُّ يُنَادِي وَيَدْعُو وَيُبَادِرُ إِلَى الْقِتَالِ فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيْهِمْ مِنْ أَصْحَابِي أَحَدٌ إِلَّا قَتَلُوهُ حَتَّى إِذَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ - الحدق؛ جمع لحدقة، الحدقة هو سواد العين، يعني حتّى إذا احمرّت العيون من الخوف والرعب أو احمرّت من الغضب، غضب القوم وغضب المسلمين، غضب القوم على المسلمين وغضب المسلمين لما يلقونه من العنت ومن القتل على أيدي هؤلاء - حَتَّى إِذَا احْمَرَّتِ الْحَدَقُ وَدُعِيَتْ إِلَى النِّزَالِ وَأَهْمَّتْ كُلُّ امْرِئٍ نَفْسَهُ - يعني فرّ الجميع - وَالتَفَّتْ بَعْضُ أَصْحَابِي إِلَى بَعْضٍ وَكُلٌّ

يَقُولُ يَا أَبَا الْحَسَنِ انْهَضْ فَأَنْهَضَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى دَارِهِمْ فَلَمْ يَبْرُزْ إِلَيَّ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا قَتَلْتُهُ وَلَا يَثْبُتُ لِي فَارِسٌ إِلَّا طَحَنَتْهُ ثُمَّ شَدَدْتُ عَلَيْهِمْ شَدَّةَ اللَّيْثِ عَلَى فَرَسَتِهِ حَتَّى ادْخَلْتُهُمْ جَوْفَ مَدِينَتِهِمْ - فَرَّوْا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ - مُسَدِّدًا عَلَيْهِمْ - مُسَدِّدًا؛ يَعْنِي سَدَدْتُ عَلَيْهِمُ الطَّرِيقَ، مِنْ أَيْنَ إِلَى أَيْنَ يَفْرُونَ؟ - مُسَدِّدًا عَلَيْهِمْ فَأَقْتَلَعْتُ بَابَ حُصْنِهِمْ بِيَدَيَّ - وَلَيْسَ بِيَدَيَّ كَمَا قَلْتُ بِيَدِهِ الْيَسْرَى - فَأَقْتَلَعْتُ بَابَ حُصْنِهِمْ بِيَدَيَّ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدِي - لَوْحَدَهُ - حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدِي أَقْتُلُ مَنْ يَظْهَرُ فِيهَا مِنْ رِجَالِهَا - يَبْدُو أَنَّهُمْ اخْتَفَوْا فِي جُحُورِهِمْ، لِأَنَّ هَذِهِ الطَّامَةَ الَّتِي جَاءَتْهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَتَوَقَّعُوا هَذِهِ الْبَلِيَّةَ، مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُمْ هَذِهِ الْبَلِيَّةُ؟ هَذِهِ الْقُدْرَةُ مِنْ أَيْنَ جَاءَتْهُمْ؟ - فَأَقْتَلَعْتُ بَابَ حُصْنِهِمْ بِيَدَيَّ حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدِي أَقْتُلُ مَنْ يَظْهَرُ فِيهَا مِنْ رِجَالِهَا - الْجَمِيعَ فَرَّوْا خُصُوصًا بَعْدَ أَنْ رَأَوْهُ قَدْ مَرَحَبَ مِنْ رَأْسِهِ إِلَى قَدَمِهِ - وَأَسْبَغِي مَنْ أَحَدُ مِنْ نِسَائِهَا، إِلَى أَنْ يَقُولَ - حَتَّى افْتَتَحْتُهَا وَحَدِي - هُوَ فَتَحَهَا لَوْحَدَهُ، دَخَلَهَا لَوْحَدَهُ وَافْتَتَحَهَا لَوْحَدَهُ، الْكَلَامُ وَاضِحٌ - حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدِي - إِلَى أَنْ يَقُولَ - حَتَّى افْتَتَحْتُهَا وَحَدِي وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا مُعَاوَنٌ - لِلتَّأْكِيدِ الْإِمَامُ يَقُولُ، افْتَتَحَهَا لَوْحَدَهُ ثُمَّ يَقُولُ - وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا مُعَاوَنٌ إِلَّا اللَّهُ - وَحَدِي، عَلِيٌّ وَحَدَهُ وَمَعَهُ اللَّهُ وَحَدَهُ - ثُمَّ التَفَتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَصْحَابِهِ - الَّذِينَ كَانُوا حُضَّارًا فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي كَانَ يَسْأَلُ فِيهِ رَأْسَ الْيَهُودِ، هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - ثُمَّ التَفَتَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَلَيْسَ كَذَلِكَ؟ قَالُوا: بَلَى يَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - وَاسْتَمَرَ الْأَمِيرُ فِي حَدِيثِهِ.

تَلَا حُظُونُ الصُّورَةِ صُورَةَ كَبِيرَةً جَدًّا، الْإِمَامُ نَفْسُهُ، أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ نَفْسُهُ يَتَحَدَّثُ عَنِ الْقُوَّةِ الْمَوْجُودَةِ فَيَقُولُ - فَتَلَقُّونَا بِأَمْثَالِ الْجِبَالِ مِنَ الْخَيْلِ وَالرِّجَالِ وَالسَّلَاحِ - لَذَلِكَ الْمُسْلِمُونَ فَرَّوْا مَاذَا يَصْنَعُونَ؟ لَيْسَ لَهَا إِلَّا هُوَ - حَتَّى دَخَلْتُ عَلَيْهِمْ مَدِينَتَهُمْ وَحَدِي، حَتَّى افْتَتَحْتُهَا وَحَدِي وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا مُعَاوَنٌ - وَأَيْضًا هَذِهِ الْجُمْلَةُ مُهِمَّةٌ - عَلَى رِجَالٍ مِنَ الْيَهُودِ وَفُرْسَانِهَا مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا - هَذِهِ الصُّورَةُ الَّتِي يَتَحَدَّثُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَبَشَكْلٍ مُوجَزٍ بِشَكْلٍ مُخْتَصَرٍ لَوْ كَانَ الْأَمِيرُ يَتَحَدَّثُ بِالتَّفْصِيلِ لِأَخْبَرْنَا تَفَاصِيلَ كَثِيرَةً جَدًّا وَنَذْهَبُ إِلَى فَاصِلٍ مَفْرُوضٍ عَالِمًا حَبْكُ يَا عَلِيّ.

عَنْ إِمَامِنَا الْبَاقِرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ فِي كِتَابِ الْاِحْتِجَاجِ - أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعَثَ سَعْدَ بْنَ مُعَاذٍ بِرَايَةِ الْأَنْصَارِ إِلَى خَيْبَرَ فَرَجَعَ مُنْهَزِمًا، ثُمَّ بَعَثَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ بِرَايَةِ الْمُهَاجِرِينَ فَأَتِي بِسَعْدٍ جَرِيحًا وَجَاءَ عُمَرُ يُجَبِّنُ أَصْحَابَهُ وَيُجَبِّنُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: هَكَذَا تَفْعَلُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ حَتَّى قَالَهَا ثَلَاثًا - قَالَهَا وَهُوَ فِي حَالَةِ غَضَبٍ - هَكَذَا تَفْعَلُ الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، ثُمَّ قَالَ: لِأَعْطِيَنَّ الرَّايَةَ رَجُلًا لَيْسَ بِفَرَّارٍ - الْحَدِيثُ الْمَعْرُوفُ الَّذِي قَالَهُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وسلّم في واقعة خيبر.

الشيخ المفيد يحدثنا فيقول: - لَمَّا كَانَ يَوْمَ خَيْبَرَ خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ يُقَالُ لَهُ مَرْحَبٌ وَكَانَ طَوِيلَ الْقَامَةِ عَظِيمَ الْهَامَةِ وَكَانَتْ الْيَهُودُ تُقَدِّمُهُ لَشَجَاعَتِهِ وَلَشَجَاعَتِهِ وَيَسَارِهِ - يساره يعني كان غنياً - قَالَ: فَخَرَجَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ إِلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا وَاقَفَهُ قَرْنٌ - قرن؛ يعني بطل - فَمَا وَاقَفَهُ قَرْنٌ إِلَّا قَالَ: أَنَا مَرْحَبٌ ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَثْبُتْ لَهُ - يفر أو أن يُقتل بين يديه، فلم يثبت له، إِمَّا أَنَّهُ يَفِرُّ أَوْ أَنَّ مَرْحَبًا يَقْتُلُهُ - قَالَ: وَكَانَتْ لَهُ ظُفْرٌ - يعني مربية مُرضعة - وَكَانَتْ لَهُ ظُفْرٌ وَكَانَتْ كَاهِنَةً تُعَجَّبُ بِشَبَابِهِ وَعَظَمِ خَلْقِهِ وَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ: قَاتِلْ كُلَّ مَنْ قَاتَلَكَ وَغَالِبِ كُلَّ مَنْ غَالَبَكَ إِلَّا مَنْ تَسَمَّى عَلَيْكَ بِحَيْدَرَةٍ فَإِنَّكَ إِنْ وَقَفْتَ لَهُ هَلَكْتَ، قَالَ: فَلَمَّا كَثُرَ مُنَاوَشَتُهُ وَجَزَعُ النَّاسِ بِمُقَاوَمَتِهِ شَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ عَلِيًّا - قطعاً ليس الجميع، سأتلو على مسامعكم روايات.

البعض ما كان يجب أن علياً هو الذي يحمل هذه الرّاية حسداً وحقدًا - فَلَمَّا كَثُرَ مُنَاوَشَتُهُ وَجَزَعُ النَّاسِ بِمُقَاوَمَتِهِ شَكُّوا ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَأَلُوهُ أَنْ يُخْرِجَ إِلَيْهِ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَام، فَدَعَا النَّبِيُّ عَلِيًّا وَقَالَ لَهُ: يَا عَلِيّ، يَا عَلِيّ اكْفِنِي مَرْحَبًا - المسلمون ضجّوا، المهاجرون فرّوا، الأنصار فرّت، جندل رجالنا - يَا عَلِيّ اكْفِنِي مَرْحَبًا - لَإِذَا نَحْنُ نَقْرَأُ فِي دَعَاءِ الْفَرَجِ نَطْلُبُ الْكَفَايَةَ مِنْ عَلِيٍّ - يَا مُحَمَّدُ يَا عَلِيّ يَا عَلِيّ يَا مُحَمَّدُ اكْفِيَانَا فَإِنَّكُمَا كَافِيَانِ وَانْصُرَانَا فَإِنَّكُمَا نَاصِرَانِ - هذا الدعاء الذي أيضاً يُضَعِّفُهُ عُلَمَاؤُنَا وَمَرَاغِنَا وَخُطَبَاؤُنَا أَعْلَى اللَّهِ تَعَالَى مَقَامَتَهُمْ!! - وَقَالَ لَهُ يَا عَلِيّ اكْفِنِي مَرْحَبًا، فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ مَرْحَبٌ يُسْرِعُ إِلَيْهِ فَلَمْ يَرَهُ يَعْأُ بِهِ - مرحب تعجّب من هذا، الجميع كانوا حين يُقبلون على مرحب، يعني في حال تردد، من هذا الذي لم يعبأ لا بمرحب ولا بغيره؟! - فَخَرَجَ إِلَيْهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَمَّا بَصُرَ بِهِ مَرْحَبٌ يُسْرِعُ إِلَيْهِ - خرج مهرولاً - فَلَمْ يَرَهُ يَعْأُ بِهِ فَانْكَرَ ذَلِكَ - يعني مرحب استغرب، أنكر ذلك، هذا أمرٌ غريب - فَانْكَرَ ذَلِكَ وَأَحْجَمَ عَنْهُ - لم يتقدّم مُسرِعاً، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَقَدَّمَ - ثُمَّ أَقْدَمَ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي مَرْحَبًا، فَأَقْبَلَ عَلِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ: أَنَا الَّذِي سَمَّيْتَنِي أُمِّي حَيْدَرَةً، فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ مَرْحَبٌ هَرَبَ - هرب مرحب - وَلَمْ يَقِفْ خَوْفًا مِمَّا حَدَّثَتْهُ مِنْهُ ظُفْرُهُ - المربية الكاهنة - فَتَمَثَّلَ لَهُ إِبْلِيسُ فِي صُورَةِ جَبْرٍ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَقَالَ: إِلَى أَيْنَ يَا مَرْحَبُ؟ فَقَالَ: قَدْ تَسَمَّى عَلِيٌّ هَذَا الْقَرْنَ بِحَيْدَرَةٍ - هذا الفارس الذي جاء لنزالي هذا المقاتل اسمه حيدرة - فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: فَمَا حَيْدَرَةُ؟ فَقَالَ: إِنَّ فَلَانَةَ ظُفْرِي كَانَتْ تُحَدِّثُنِي مِنْ مُبَارَزَةِ رَجُلٍ اسْمُهُ حَيْدَرَةُ وَتَقُولُ إِنَّهُ قَاتَلَكَ، فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: شَوْهًا لَكَ - يعني تُعَسُّ لَكَ، يا لقباحتك -

فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: شَوْهًا لَكَ لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيْدَرَةٌ إِلَّا هَذَا وَحْدَهُ - يعني إبليس يقول له: قالت لك الذي يقتلك اسمه حيدرة، العالم فيه الكثير أسماءهم حيدرة - لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيْدَرَةٌ إِلَّا هَذَا وَحْدَهُ لَمَا كَانَ مِثْلَكَ يَرْجِعُ - أنت الفارس البطل - لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيْدَرَةٌ إِلَّا هَذَا وَحْدَهُ لَمَا كَانَ مِثْلَكَ يَرْجِعُ عَنْ مِثْلِهِ تَأْخُذُ بِقَوْلِ النِّسَاءِ وَهِنَّ يُخْطِئْنَ أَكْثَرَ مِمَّا يُصِيبْنَ وَحَيْدَرَةٌ فِي الدُّنْيَا كَثِيرٌ فَارْجِعْ لَعَلَّكَ تَقْتُلُهُ فَإِنْ قَتَلْتَهُ سُدَّتْ قَوْمَكَ وَأَنَا فِي ظَهْرِكَ أَسْتَصْرِخُ الْيَهُودَ لَكَ، فَرَدَّهُ - محاوله من إبليس لعلّه يؤذي عليّاً - فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا كَفَوَاقِ نَاقَةٍ - فَوَاقِ نَاقَةٍ؛ يعني الوقت الذي يصرفه حالبُ الناقة عند حلبها، هذا الذي يقال له فَوَاقِ نَاقَةٍ، يعني دقائق، ما إن رجع دقائق - فَوَاللَّهِ مَا كَانَ إِلَّا كَفَوَاقِ نَاقَةٍ حَتَّى ضَرَبَهُ عَلِيٌّ ضَرْبَةً سَقَطَ مِنْهَا لُوجُهُ وَانْهَزَمَ الْيَهُودُ يَقُولُونَ قُتِلَ مَرْحَبٌ قُتِلَ مَرْحَبٌ - اليهود يعرفون، مثل ما مرحب يعرف حيدرة.

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَاذَا قَالَ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ؟ قَالَ لَهُ: - وَاعْلَمْ يَا عَلِيٌّ إِنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي كِتَابِهِمْ - ماذا يجدون؟ - أَنَّ الَّذِي يُدَمِّرُ عَلَيْهِمْ إِسْمَهُ إِيْلِيَّا - ليس فقط مرحب هم يعرفون أيضاً، الذين تابعوا برامج شهر شعبان وتُعاد إن شاء الله تعالى، يتذكرون كان هناك حديث عن إِيْلِيَّا فِي كِتَابِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى هُوَ هَذَا إِيْلِيَّا، وَفِي وَقْتِهَا حِينَ كُنْتُ أَقْرَأُ مَا جَاءَ فِي كِتَابِهِمْ وَقُلْتُ: هَذِهِ أَفْعَالُهُ!! هُوَ هَذَا إِيْلِيَّا الَّذِي نَعْرِفُهُ - وَاعْلَمْ يَا عَلِيٌّ إِنَّهُمْ يَجِدُونَ فِي كِتَابِهِمْ أَنَّ الَّذِي يُدَمِّرُ عَلَيْهِمْ إِسْمَهُ إِيْلِيَّا فَإِذَا لَقِيتَهُمْ فَقُلْ أَنَا عَلِيٌّ.

يَا عَلِيٌّ ...

وَلَمَّا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْحَبًا رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ - فَرَّوا مِنَ الْمَعْرَكَةِ، الَّذِينَ كَانُوا مَعَ مَرْحَبٍ - رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحُصْنِ عَلَيْهِمْ دُونَهُ فَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ - هُمْ تَصَوَّرُوا يَدْخُلُونَ إِلَى الْحُصْنِ هَذَا حِصْنِ الْقَمُوصِ، وَهَذِهِ الْبَابُ لَا يُمْكِنُ أَحَدٌ أَنْ يَقْتَحِمَهَا، قُتِلَ مَرْحَبٌ فَارْسَهُمُ الْكَبِيرُ، فَرَّوا إِلَى دَاخِلِ الْحُصْنِ، مَا تَوَقَّعُوا أَنَّ أَحَدًا يَأْتِي فِيَقْلَعُ الْبَابَ بِيَدِهِ - وَلَمَّا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْحَبًا رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحُصْنِ عَلَيْهِمْ دُونَهُ فَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ - طَبْعاً الرِّوَايَاتُ لَا تَذَكِّرُنَا الْمَعَانِي التَّفْصِيلِيَّةَ الدَّقِيقَةَ، وَإِنَّمَا هِيَ تَذَكِّرُ صَوْرًا، وَبَعْضُ الْأَحْيَانِ صُورٌ عَابِرَةٌ، وَلَكِنَّا نَسْتَطِيعُ مِنْ خِلَالِ جَمْعِ هَذِهِ الصُّوَرِ أَنْ نَصِلَ إِلَى صُورَةٍ تَقْرِيبِيَّةٍ، إِلَى صُورَةٍ مُجْمَلَةٍ عَنِ الَّذِي حَدَثَ فِي خَيْرٍ، لِذَلِكَ هُنَا مِثْلًا مَاذَا تَقُولُ الرِّوَايَةُ - فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ - هُوَ الْإِمَامُ لَمْ يَكُنْ عَاجِلُهُ، عَاجِلُهُ يَعْنِي: حَاول معه، الْإِمَامُ قَلَعَهُ - وَلَمَّا قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَرْحَبًا رَجَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ وَأَغْلَقُوا بَابَ الْحُصْنِ عَلَيْهِمْ دُونَهُ فَصَارَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ إِلَيْهِ فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ - هُوَ بَعْدَ ذَلِكَ تَذَكَّرَ الرِّوَايَةَ بِأَنَّهُ أَخَذَ بَابَ الْحُصْنِ بِيَدِهِ، لَكِنْ هَذَا التَّعْبِيرُ أَنَّهُ فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ، الْمَعَالَجَةُ يَعْنِي الْمَحَاوَلَةُ لِفَتْحِ الْبَابِ بِشَكْلِ طَبِيعِي - فَعَالَجَهُ حَتَّى فَتَحَهُ وَأَكْثَرُ النَّاسِ - مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِنْ جَانِبِ الْخَنْدَقِ لَمْ يَعْبُرُوا مَعَهُ

- الخندق واسع - فَأَخَذَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَابَ الْحُصْنِ فَجَعَلَهُ عَلَى الْخَنْدَقِ جِسْرًا لَهُمْ حَتَّى عَبَرُوا، فَظَفَرُوا بِالْحُصْنِ وَنَالُوا الْغَنَائِمَ فَلَمَّا انصَرَفُوا مِنَ الْحُصْنِ أَخَذَهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ - أخذ الباب - بِمِئْنَاهُ فَدَحَا بِهِ أَذْرَعًا مِنَ الْأَرْضِ - رماه.

أنتم لاحظتم في كلامي قبل قليل هناك تفاصيل غير مذكورة هنا، لأنَّ كلَّ شخصٍ حين يُحدث يُحدث بصورة رآها أو حتى الروايات الواردة عن الأئمة حين يكون فيها الحديث يكون الحديث عن جهة السؤال ليس كل التفاصيل.

عَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْجَدَلِيِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَقُولُ: لَمَّا عَالَجْتُ بَابَ خَيْبَرٍ جَعَلْتُهُ مِجْنًا لِي - مجن؛ يعني درق - فَقَاتَلْتُهُمْ بِهِ فَلَمَّا أَخْرَأَهُمُ اللَّهُ وَضَعْتُ الْبَابَ عَلَى حُصْنِهِمْ طَرِيقًا - وضعتُ الباب على حصنهم طريقًا، ليس على الخندق، كما قلت: وضعه على ظهره، ستأتي الروايات - وَضَعْتُ الْبَابَ عَلَى حُصْنِهِمْ طَرِيقًا ثُمَّ رَمَيْتُ بِهِ فِي خَنْدَقِهِمْ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: لَقَدْ حَمَلْتَ مِنْهُ ثَقِيلًا، فَقَالَ: مَا كَانَ إِلَّا مِثْلُ جُنَّتِي الَّتِي فِي يَدِي - مثل ما كانت أحمل الدرق، هذه التي يكون وزنها عدّة كيلوات، كنت أحمل هذه الباب، ما كان إلا مثل جُنَّتِي، جُنَّتِي؛ يعني درقي التي في يدي.

وَذَكَرَ أَصْحَابُ السِّيَرَةِ - يعني المؤرخين - أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا انصَرَفُوا مِنْ خَيْبَرٍ رَأَوْا حَمَلَ الْبَابِ - أرادوا أن يرفعوا الباب عن الأرض - فَلَمْ يُقَلِّهِ مِنْهُمْ إِلَّا سَبْعُونَ رَجُلًا - أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمَّا انصَرَفُوا مِنْ خَيْبَرٍ رَأَوْا حَمَلَ الْبَابِ فَلَمْ يُقَلِّهِ مِنْهُمْ إِلَّا سَبْعُونَ رَجُلًا.

الشاعر يقول:

إِنْ إِمْرَأَةً حَمَلَ الرَّتَاجَ بِخَيْبَرٍ: الرتاج يعني الباب، الباب الكبير.

إِنَّ إِمْرَأَةً حَمَلَ الرَّتَاجَ بِخَيْبَرٍ
يَوْمَ الْيَهُودِ بِقُدْرَةِ لَمْؤَيِّدٍ
وَالْمُسْلِمُونَ وَأَهْلُ خَيْبَرَ حُشِدُوا
حَمَلَ الرَّتَاجَ رَتَاجَ بَابِ قَمُوصِهَا
القموص هو اسم الحصن.

فَرَمَى بِهِ وَلَقَدْ تَكَلَّفَ رَدُّهُ
سَبْعُونَ شَخْصًا كُلُّهُمْ مُتَشَدِّدٌ
من الأقوياء.

رَدُّهُ بَعْدَ تَكَلُّفٍ وَمَشَقَّةٍ
وَمَقَالٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَرَادُوا
يعني أحدهم يحمّس الآخر أن يحمل الباب كي نردّه إلى المكان الذي يريدون أن يُوصلوه إليه.

عن أبي ذر الغفاري، قال أمير المؤمنين يخاطب الصحابة في يوم الشورى في خبر الشورى، الشورى العُمرية - فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ إِحْتَمَلَ بَابَ خَيْبَرٍ يَوْمَ فَتَحْتُ حُصْنَهَا ثُمَّ مَشَى بِهِ سَاعَةً ثُمَّ أَلْقَاهُ فَعَالَجَهُ بَعْدَ ذَلِكَ

أَرْبَعُونَ رَجُلًا فَلَمْ يَقْلُوهُ مِنَ الْأَرْض - أَرْبَعُونَ حَاولُوا أَنْ يَرْفَعُوهُ عَنِ الْأَرْضِ فَمَا اسْتَطَاعُوا - قَالُوا: لَا -
يعني الذي كانوا في الشورى العمرية.

عَنِ الْوَاقِدِيِّ أَنَّهَا كَانَتْ أَوَّلَ سَنَةِ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ - يعني واقعة خيبر - وَحَاصَرَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضْعًا وَعِشْرِينَ لَيْلَةً وَبِخَيْرِ أَرْبَعَةِ عَشَرَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ فِي حُصُونِهِمْ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَفْتَحُهَا حُصْنًا حُصْنًا وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ حُصُونِهِمْ وَأَكْثَرِهَا رِجَالًا الْقُمُوصَ فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ فَقَاتَلَ بِهَا ثُمَّ رَجَعَ مُنْهَزِمًا، ثُمَّ أَخَذَهَا عُمَرُ مِنَ الْعَدِّ فَرَجَعَ مُنْهَزِمًا يُجَبِّنُ النَّاسَ وَيُجَبِّنُونَهُ حَتَّى سَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ذَلِكَ، فَقَالَ: لِأَعْطَيْنَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا كَرَّارًا غَيْرَ فَرَّارٍ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ لَا يَرْجِعُ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، فَغَدَتِ قُرَيْشٌ - هؤلاء الذين لا يحبون عليًا، قُرَيْشٌ يعني المهاجرين - فَغَدَتِ قُرَيْشٌ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَمَّا عَلِيٌّ فَقَدْ كُفِّتُمُوهُ - لا يكون عليًا هذا الذي تحدّث عنه رسول الله - فَإِنَّهُ أَرْمَدٌ لَا يُصِرُّ مَوْضِعَ قَدَمِهِ - إلى أن يقول: - ثُمَّ أَعْطَاهُ الرَّايَةَ وَدَعَا لَهُ فَخَرَجَ يَهْرُولُ هَرُولَةً فَوَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ أُخْرَاهُمْ - يعني ما وصلت الراية إلى آخر اليهود لأنهم فروا من بين يديه - فَوَاللَّهِ مَا بَلَغَتْ أُخْرَاهُمْ حَتَّى دَخَلَ الْحُصْنَ - بشكل سريع دخل الحصن - قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْجَلْنَا - رأوا الفتح وإلا لو كانوا يتهيؤون للقتال لكانوا لبسوا الأسلحة، لكنهم كانوا آيسين من النصر، فلمّا خرج عليّ دبّ الحماس فيهم - قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْجَلْنَا - لأنّ الإمام خرج بدون درع، بدون أي شيء، مُجَرَّدٌ أَنْ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ خُذِ الرَّايَةَ خَرَجَ مَهْرُولًا - قَالَ جَابِرٌ: فَأَعْجَلْنَا أَنْ نَلْبِسَ أَسْلِحَتَنَا وَصَاحَ سَعْدٌ - سعد ابن عباد - يَا أَبَا الْحَسَنِ أَرْبَعٌ - انتظر - يَلْحَقُ بِكَ النَّاسُ فَأَقْبَلَ حَتَّى رَكَزَهَا قَرِيبًا مِنَ الْحُصْنِ فَخَرَجَ إِلَيْهِ مَرْحَبًا فِي عَادَتِهِ كَمَا يَخْرُجُ كُلُّ مَرَّةٍ بِالْيَهُودِ فَبَارَزَهُ فَضْرَبَ رِجْلَهُ فَقَطَعَهَا وَسَقَطَ - إلى آخر الكلام.

الرواية عن زرارة، عن الإمام الباقر - انتهت إلى باب الحصن - عليّ صلوات الله عليه - وَقَدْ أُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ فَاجْتَذَبَهُ اجْتِدَابًا - سحبه - وَتَتَرَسَّ بِهِ - جعله ترسًا، درقة - ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَاقْتَحَمَ الْحُصْنَ اقْتِحَامًا وَاقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ وَالبابُ عَلَى ظَهْرِهِ - ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ كَمَا يَقُولُ - وَاقْتَحَمَ الْحُصْنَ اقْتِحَامًا وَاقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ وَالبابُ عَلَى ظَهْرِهِ. الباقر صلوات الله وسلامه عليه يقول: - انتهت عليّ إلى باب الحصن وَقَدْ أُغْلِقَ فِي وَجْهِهِ فَاجْتَذَبَهُ اجْتِدَابًا وَتَتَرَسَّ بِهِ ثُمَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَهْرِهِ وَاقْتَحَمَ الْحُصْنَ اقْتِحَامًا وَاقْتَحَمَ الْمُسْلِمُونَ وَالبابُ عَلَى ظَهْرِهِ - المسلمون هكذا اقتحموا - وَالبابُ عَلَى ظَهْرِهِ، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا لَقِيَ عَلِيٌّ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ الْبَابِ - لأنهم صعدوا على الباب - فَوَاللَّهِ مَا لَقِيَ عَلِيٌّ مِنَ النَّاسِ تَحْتَ الْبَابِ أَشَدَّ مِمَّا لَقِيَ مِنَ الْبَابِ ثُمَّ رَمَى بِالْبَابِ رَمِيًّا وَخَرَجَ الْبَشِيرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ إِنَّ عَلِيًّا دَخَلَ الْحُصْنَ فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ فَخَرَجَ عَلِيٌّ يَتَلَقَّاهُ، فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: بَلَغَنِي نَبَأُكَ

الْمَشْكُورَ وَصَنِعْتُكَ الْمَذْكُورَ قَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ فَرَضَيْتُ أَنَا عَنْكَ فَبَكَى عَلِيٌّ، فَقَالَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ يَا عَلِيٌّ؟ فَقَالَ: فَرَحًا بِأَنَّ اللَّهَ وَرَسُولُهُ عَنِي رَاضِيَانِ.

الرواية عن إمامنا الصادق صلوات الله وسلامه عليه: - أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سَهْلِ ابْنِ حُنَيْفٍ كَتَبَ لَهُ: وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْرٍ وَرَمَيْتُ بِهِ خَلْفَ ظَهْرِي أَرْبَعِينَ ذِرَاعًا بِقُوَّةٍ جَسَدِيَّةٍ وَلَا حَرَكَةٍ غَذَائِيَّةٍ لَكِنِّي أُيِّدْتُ بِقُوَّةٍ مَلَكُوتِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِنُورِ رَبِّهَا مُضِيَّةٍ وَأَنَا مِنْ أَحْمَدَ كَالضَّوِّ مِنَ الضَّوِّ - إِلَى آخِرِ كَلَامِهِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ.

وقال لعمر ابن الخطاب حين سأله عن ذلك؟ - قَالَ: يَا أَبَا الْحَسَنِ لَقَدْ اقْتَلَعْتُ مَنِيْعًا وَأَنْتَ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ حَمِيصًا - كَانَ صَائِمًا - فَهَلْ قَلَعْتَهَا بِقُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ؟ - بَأَيِّ قُوَّةٍ قَلَعْتَ هَذَا الْبَابَ؟ - فَقَالَ مَا قَلَعْتُهَا بِقُوَّةٍ بَشَرِيَّةٍ وَلَكِنْ قَلَعْتُهَا بِقُوَّةٍ إِلَهِيَّةٍ وَنَفْسٍ بِلِقَاءِ رَبِّهَا مُطْمَئِنَّةٍ رَضِيَّةٍ.

هذي الرواية التي أشرت إليها أَنَّهُ لَمَّا جَاءَتْ صَفِيَّةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، صَفِيَّةُ بِنْتُ حَبِيبِ بْنِ أَبِي ذَرٍّ وَأَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهًا، فَرَأَى فِي وَجْهِهَا شَجَّةً، فَقَالَ: مَا هَذِهِ وَأَنْتِ ابْنَةُ الْمُلُوكِ؟ فَقَالَتْ: إِنَّ عَلِيًّا لَمَّا قَدِمَ إِلَى الْحَصَنِ هَزَّ الْبَابَ فَاهْتَزَّ الْحَصَنُ وَسَقَطَ مِنْ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ النُّظَارَةِ -: النُّظَارَةُ الَّذِينَ كَانُوا عَلَى الْحَصَنِ وَهُمْ الْأُمَرَاءُ وَالْمُلُوكُ وَهِيَ مِنْ عَائِلَةِ مُلُوكِهِمْ: - وَارْتَجَفَ بِي السَّرِيرُ فَسَقَطَتْ لَوَجْهِهِ فَشَجَّنِي جَانِبُ السَّرِيرِ.

هناك تفاصيل كثيرة أنا اغمضت عنها لأنني لو ذكرتها فهي بحاجة إلى شرح والوقت لا يكفي، تفاصيل كثيرة أكثر عجباً من هذا الذي ذكرته، جاءت في الروايات والأحاديث موجودة في مصادرنا، لكنّها ضعيفة ماذا نصنع؟ بالنسبة لي صحيحة لكن بالنسبة لعلماينا يقولون بأنها ضعيفة.

في الخرائج والجرائح، كتاب الخرائج والجرائح - أَنَّ النَّبِيَّ لَمَّا صَارَ إِلَى خَيْبَرَ كَانُوا قَدْ جَمَعُوا حُلَفَاءَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ - كَمَا مَرَّ قَبْلَ قَلِيلٍ أَنَّ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ كَانَتْ مَوْجُودَةً - أَنَّ النَّبِيَّ لَمَّا صَارَ إِلَى خَيْبَرَ - لِمَاذَا؟ لِأَنَّهُمْ كَانُوا قَدْ جَمَعُوا حُلَفَاءَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ غُطَفَانَ، مِنْ غُطَفَانَ فَقَطْ مِنْ غُطَفَانَ أَرْبَعَةَ آلَافٍ فَارِسَ، هُمْ يَقُولُونَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَنْقُلُونَ الْخَبَرَ: أَنَّهُ غُطَفَانَ مَا اشْتَرَكَتْ فِي الْمَعْرَكَةِ، هَذِهِ قِصَّةٌ أَنَّهُ سَمِعُوا صَائِحًا يَقُولُ: بِأَنَّ عِيَالَكُمْ وَبِأَنَّ حَيِّكُمْ هَجَمَ عَلَيْهِ مِنْ هَجَمٍ بِالنَّتِيجَةِ هَذَا كَلَامٌ، هُمْ حَضَرُوا فِي أَرْضِ الْمَعْرَكَةِ.

هناك تفاصيل أخرى مذكورة أيضاً لكنني أرى الوقت يجري سريعاً ربّما في مناسبة أخرى نتكلّم نتحدّث عن هذا الموضوع بشكل أكثر تفصيل من هذا الذي ذكرته، لأنني أساساً لم أكن بصدد ذكر كل التفاصيل، كما قلت في بدايات حديثي: أنا بصدد ذكر صور، لقطات، مشاهد أريد أن أقرب الفكرة وأيّ فكرة أريد أن أقول: بِأَنَّ زِيَارَاتِ أَهْلِ الْبَيْتِ تَشْتَمِلُ عَلَى مَطَالِبٍ مَهْمَّةٍ أَهْمَلْتُ فِي الثَّقَافَةِ الشَّيْعِيَّةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَقُولَ: بِأَنَّ

ثقافتنا الشيعية تتشكّل في الغالب من الفكر المخالف لأهل البيت، وإلاّ هذه التفاصيل وهذه الجزئيات ليس كل التفاصيل وليس كل الجزئيات الموجودة، هذه أمثلة ونماذج.

أعتقد من هنا يتّضح المراد من قول إمامنا الهادي صلوات الله وسلامه عليه - **وَيَوْمَ خَيْرٍ إِذْ أَظْهَرَ اللَّهُ خَوَرَ الْمُنَافِقِينَ وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** - لأنّ اليهود والعرب رأّت هذه القدرة الهائلة الموجودة عند مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَآلَتِي اسْمُهَا عَلِيٌّ، فتغيّرت الحسابات بالكامل، لأنّ هجوماً عسكرياً بهذه الطريقة تجاوز كلّ الحسابات، أسقط جميع حسابات اليهود، لذلك بعد خير اليهود استسلموا، اليهود استسلموا وانطفأت نائره اليهود، وانطفأت نائره قُرَيْش، الأمور استتبت بشكل واضح وصريح، خير هي فتح الفتوح، وخير تعني سيف عليّ، وخير تعني عليّاً صلوات الله وسلامه عليه - **وَقَطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**.

بقيّة الكلام يأتي في حلقة يوم غد إن شاء الله تعالى.

يَا أَبَا الْغَيْثِ اغْنِنِي يَا عَلِيُّ أَدْرِكِنِي

أسألكم الدعاء في أمان الله.

وفي الختام:

لا بُدّ من التنبيه الى أنّنا حاولنا نقل نصوص البرنامج كما هي وهذا المطبوع لا يخلو من أخطاء وهفوات فمن أراد الدقة الكاملة عليه مراجعة تسجيل البرنامج بصورة الفيديو أو الأوديو على موقع القمر.

مع التحيات

المُتَابَعَة

القمر

1436 هـ